ترجمة الشيخ حسن الطويل المالكي[(١)]

الإمام العلامة، شيخ الشيوخ، وأستاذ الأستاذين، وأحد من تفرَّد في مصر بالبراعة في المعقول والمنقول، وأتقن العلوم العديدة مع الزهد الصحيح والورع وعلو النفس، والتأدب بآداب الشرع والتمسك بالكمالات.

وهو حسن الطويل ابن أحمد الطويل ابن علي، ولد بمنية شهالة إحدى قرى المنوفية، حوالي سنة ١٢٥٠ كما سمعته من تلميذه الخاص العلامة الشيخ أحمد أبي خطوة. وذكر الشيخ بشير الظافر في كتابه «اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة» أنه ولد سنة ١٢٥٦، وتربى بهذه القرية فقرأ القرآن الكريم وحفظه بها، ثم انتقل إلى طندتا وهو صغير، فاشتغل بتجويد القرآن وحفظ المتون بالمسجد الأحمدي نحو سنتين أو ثلاث، ثم حضر للقاهرة واشتغل بطلب العلم بالجامع الأزهر، فقرأ على شيوخ العصر؛ مثل الشيخ محمد عليش المالكي، في الفقه والحساب وغيرهما، وعلى الشيخ حسن العدوي الحمزاوي، والشيخ إبراهيم السقا، والشيخ محمد الأشموني، والشيخ محمد الإنبابي، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفي، فظهرت عليه النجابة، وابتدأ في حضور السعد، وكان من دأبه في أول أمره معاكسة المشايخ في الدروس بكثرة الأسئلة

(١) في هامش الأصل بخط المؤلف: (له ترجمة في الضياء ج١ ص٦٩٠) يريد مجلة الضياء.

والمناقشات، حتى حدث ما اضطره إلى الانقطاع عن الأزهر؛ وسبب ذلك أن أبناء العمد وأقاربهم طلبوا للدخول في الجندية بقانون وضع لذلك، أمر به سعيد باشا والي مصر، ولما كان المترجم من أقارب بعض مشايخ قريته طلب معهم. وجند مع من جند فصار واحدًا منهم، إلا أنه لم يسلك مسلك أكثرهم في التفريط في الفروض، فكان يواظب على الصلوات والأوراد، وكان الوالي يكره من الجند من يصلي، وحدث أن المترجم جاءه من شيخه الشيخ أحمد شرف الدين المرصفي كتاب فيه استغاثة يأمره بتلاوتها عقب كل صلاة؛ رجاء أن تفرج كربه وتخلصه من الجندية، فوقع الكتاب في أيديهم، وعدوه لذلك مذنبًا، وكان عقاب المذنبين عندهم إهمال تعليمهم الفنون العسكرية وتشغيلهم في السكك الحديدية وما أشبهها من الأعمال الشاقة، فكان المترجم يشتغل في هذه الأعمال بهمة زائدة تأديبًا لنفسه؛ لأنه ظن ما وقع له عقابًا على جراءته على مشايخه، وكان سعيد باشا يلقب المطيعين من الجند بالفراعنة، والعاصين المذنبين بالنماردة فغضب مرة على النماردة وأمر بطردهم من الجيش، فخرجوا منه إلا أنهم بقوا تابعين، وهم ما كانوا يسمونهم بالعساكر الإمدادية، وخرج المترجم معهم، فأقام بقريته مدة، وكان قبل ذلك يجتمع على الشيخ خالد أحد مشايخ الطريق، فرأى أن يسافر إليه، فسافر إلى بلدته المسماة بالسريرية من أعمال المنية؛ أي منية ابن الخصيب، ولزمه بعض أشهر عكف فيها على الاشتغال بالعلم والطريق.

ثم طلب إلى الجندية مرة ثانية، فذهب إليه أبوه ليحضره، وأراد الشيخ خالد منعه فلم يرض هو؛ بل عاد مع أبيه إلى قريته فوجدهم أهملوا طلبه، فحمد الله، وأراد والده إبقاءه معه في القرية خوفًا من أن يعود إلى الصعيد، فضاق المترجم بهذا الأمر وخرج من غير علم أبيه من القرية وهو لا يملك شيئًا، فمشي على قدميه يبيت في كل بلدة تصادفه حتى وصل إلى القاهرة، ودخلها من جهة باب الحديد فاشترى بما معه شيئًا أكله، وذهب إلى الأزهر فصادف الشيخ محمد السقاري في طريقه، فلما رأى المترجم أسرع إليه وهش له، وأخبره أنه يطلبه من مدة، ثم أنزله بداره وحلف أن يبقى بها شهرًا لا يتكلف شيئًا من عنده، وكان مراد السقاري نظم قصيدة يمدح بها أحد الأمراء، فنظمها له وأخذ السقاري عليها أربعين دينارًا جائزة. ولما انقضى الشهر حفَّ الله المترجم بعنايته، فطلبه الشيخ حسن العدوي لتصحيح البخاري، وكان شرع في طبعه فانتفع بأجر التصحيح، ثم طلب إلى ديوان الجهادية لتصحيح ما يطبع به، فقابل هناك أحمد عبيد بك رئيس الترجمة، وامتحنه فأعجب به، وكاد يطير فرحًا، وقال عنه: هذا جوهرة خفيت عنا، واستخدمه في الحال للتصحيح بهذا الديوان، وسعى له حتى مَحَوا اسمه من الجيش حتى لا يعاد طلبه.

وكان المترجم في هذه المدة عاد لطلب العلم والاشتغال به، مع القيام بالتصحيح بالديوان، حتى شهد له شيوخه بالتأهيل للتدريس فدرس بالأزهر، وكان أول درس قرأه في شوال سنة ١٢٨٣، وابتدأ فيه بالقراءة في الأزهرية. ولم يقتصر رحمه الله على العلوم المتداولة بالأزهر، بل

بحث ونقب، واجتمع بالشيخ محمد أكرم الأفغاني فتلقى عنه العلوم الحكمية، وبرع فيها، وتلقى عن تلميذه خلاصة الحساب لبهاء الدين العاملي، ونظر في الهندسة والجبر وسائر العلوم الرياضية، وقرأ التاريخ قراءة إمعان وتدبر، وطالع كتب اللغة والأدب، ونظم الشعر السهل، وكتب الترسل البديع، وكان لا يسمع عن أحد يعرف علمًا إلا ويسعى إليه، ويتلقاه عنه كائنًا من كان، حتى صار نسيج وحده، وقريع دهره، في سائر العلوم، مع بعد النظر في السياسة، وسعة العقل، وسلامة العقيدة وشدة الإنكار على البدع والمستحدثات في الدين.

وقد قرأ عليه في الأزهر كثيرون من علمائه المشهورين، فكان الشيخ الأجل أحمد أبو خطوة، والشيخ محمد عبده، والسيد أحمد الشريف، وإبراهيم بك اللقاني، والشيخ محمد راضي البوليني، ممن قرأ عليه في الطبقة الأولى من تلاميذه. ثم قرأت عليه طبقة ثانية منها الشيخ عبد الرحمن فوده، والشيخ محمد الغريني، والشيخ عبد الرحمن قُراعة، وقرأ عليه أيضًا الشيخ محمد بخيت، والشيخ داغر، والشيخ محمد المغربي، والشيخ أحمد الزرقاني، وغيرهم ممن لا يحصون، واختص به الشيخ أحمد أبو خطوة، والشيخ راضي البوليني، والشيخ عبد الرحمن فوده، والشيخ عبد الرحمن قراعة، فكانوا يقرأون عليه في داره دروسًا غير الدروس الأزهرية، وصحبوه ولازموه، فانتفعوا به في دينهم وأخلاقهم فوق انتفاعهم بعلمه.

ثم نقل إلى نظارة المعارف وعين للتفتيش فيها، ولما مات الشيخ زين المرصفي مفتشها الأول سنة ١٣٠٠، وأقيم بدله الشيخ حمزة فتح الله المفتش الثاني جعل المترجم مفتشًا ثانيًا، ثم نقل مدرسًا بمدرسة دار العلوم؛ فعمَّ الانتفاع به، وتخرَّج عليه أحسن من نراهم الآن من الأساتذة المتخرجين في هذه المدرسة؛ كالشيخ الفاضل حسن منصور، والشيخ محمد المهدي، والشيخ محمد الخضري، والشيخ عبد الوهاب النجار، وغيرهم من أفاضل الوقت.

وبقي في هذه المدرسة إلى سنة ١٣١٧، وكانوا شرعوا في الامتحان قبل الإجازة المدرسية كالعادة، فلما كانت ليلة السبت ١٧ صفر سهر كعادته. ثم ذهب لداره معافى ليس به شيء، واستيقظ فتوضأ وصلى الصبح، ثم طلب الإفطار والقهوة، وأخذته غفوة كان فيها القضاء المحتوم، فلم تشرق شمس ذلك اليوم إلا والنعاة ينعونه والمؤذنون يؤذنون على المآذن كالعادة في موت كبار العلماء، وأمَّ داره شيخ الأزهر الشيخ عبد الرحمن الشربيني، والشيخ محمد عبده المفتي، وجميع العلماء والفضلاء، وكبار نظارة المعارف، وتلاميذه من الأزهر ودار العلوم. وشيعت جنازته تشييعًا سنيًّا، فصلوا عليه في الأزهر ودفنوه بمقابر المجاورين، رحمه الله وغفر له عدد حسناته.

ومن غريب المصادفات أنه زارني قبل وفاته بيومين في ليلة مقمرة، فجلسنا في صحن الدار نلعب الشطرنج، وكان مولعًا به مع قلة إجادته فيه. فقال لي عند ما أراد الذهاب: نحن الآن في الامتحان، وقد قربت

الإجازة، وصدري ضيق في هذه الأيام من الناس، ونفسي تجنح للعزلة، فهل تعرف لي مكانًا أقضي فيه بعض أيام بعيدًا عنهم؟ فقلت: يا سيدي، إذا انتهى الامتحان فالأوفق أن نسافر معًا إلى ضيعتنا التي بقويسنا فنخلو فيها بكتاب نقرؤه، فقال: نعم الرأي هذا، وسأستصحب معي ولدي حسنًا ليشترك معنا في القراءة. ثم لم يمض يومان حتى نقله الله إلى جواره، ويسر له العزلة ولكن في دار قراره، فأصبت فيه مصيبة لم أصبها في بعيد ولا قريب، لما كان له عليَّ من الفضل، ولو لم يكن له عليَّ سوى تصحيح العقيدة وتأديبي بآداب الحنيفية السمحاء لكفى.

أمَّا سبب اجتماعي به وقراءتي عليه، فإني كنت خرجت من المدارس بعد تلقي ما يتلقى بها من العلوم المعروفة وأنا في سن العشرين، وقد علق بالعقيدة شيء من آثار التربية بهذه المدارس إلا أني كنت مولعًا من الصغر بالإسلام ومحاسنه، والمطالعة في السيرة النبوية، ومناقب الأصحاب والخلفاء الراشدين، فكان ينشرح صدري لأشياء، وينقبض من أشياء تعرض لي فيها شبهات، ثم كنت أعرض ما يظهر لي من مكارم الشريعة ومقاصدها على ما عليه الناس من البدع والمحدثات التي تمسكوا بها، وجعلوها من الأصول الدينية، فأجد التناقض والتصادم، فصرت أتردد على كثير من كبار علماء الأزهر وغيرهم، لعلي أجد عندهم مفرجًا فأراهم أحرص من العامة على هذه الخزعبلات، حتى كدت أحكم بأنها من الدين، وأن الأمر دائر بين شيئين؛ فإما أن يكون الدين دين خرافات وخزعبلات تنفر منها الطباع السليمة، وإما أن يكون ما نراه حقًّا،

ولكن يمنعنا من قبوله إلحاد تأصل في النفس. حتى أرشدني بعض الأصحاب للمترجم، فأخذت في السؤال عنه من أهل العلم، فكانوا ينفِّرونني منه، حتى بالغ بعضهم -عامله الله بما يستحق- ورماه بالزندقة، فقلت: إذا كنت لم أجد طَلِبتي عند من تسمونهم بالصلاح والورع، فلعلي أصيبها عند الزنادقة، ثم سعيت في الاجتماع به، وسألته القراءة عليه، والاهتداء بهديه، فقرأت عليه العلوم العربية والمنطق، وأعدت عليه الصرف بتوسع وعلوم البلاغة. ثم قرأت طرفًا من الحكمة في شرح الدواني على هياكل النور للسهروردي، وشرح رسالة الزوراء وغير ذلك. ولما رآني مجدًّا في التحصيل، قرر لي درسًا ثانيًا بعد العشاء كنا نقرأ فيه كتب الأدب ونحوها، وأنا في كل هذه المدة أستوضح منه ما أشكل عليَّ فيحله لي، فكان اجتماعي به ومصاحبتي إياه من أكبر نعم الله عليَّ في ديني، وكثيرًا ما كان يغضب مني ويؤنبني إذا رأى مني تهاونًا في الصلاة.

وكان من عاداته الخروج إلى الريف كل خميس ترويحًا للنفس، فكان يذهب إلى الأميرية من ضواحي القاهرة عند تلميذه الشيخ عبد الرحمن فودة فيقضي عنده الخميس والجمعة ويعود يوم السبت، فلما عرفته صار يذهب للأميرية بعض الأخمسة ويسافر في بعضها إلى ضيعتنا التي بقويسنا أو إلى حلوان حينما نسكن بها شتاء، فكنت أقضي معه هذين اليومين في مطالعة واشتغال، حتى في حالة المشي والتنزه كنت أحمل الكتاب معي وأسمعه فيه، فيقرر لي المسائل ونحن سائران.

وكان رحمه الله سنيَّ العقيدة، صوفي المشرب، لا يحيد عن الشرع قيد إصبع، آخذًا بمذهب الإمام ابن تيمية في مسألة الاستغاثة بالقبور والاستشفاء بالموتى، منكرًا على المبتدعة أشد إنكار، آية من آيات الله في معرفة التفسير وحل مشكلات الكتاب المبين، متضلعًا من الحديث، متحصنًا بالشريعة في كل علم يقرؤه من كلام أو حكمة أو تصوف أو رياضيات أو طبيعيات. وخص باستحضار الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الاستشهاد بها على حل المشكلات الدينية، فكان أمره في ذلك عجبًا، وشأنه فيه مستغربًا، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ومع انحراف علماء الأزهر عنه لإنكاره عليهم بدعهم وما درجوا عليه فإنهم كانوا مقرين بفضله، وكثيرًا ما كانوا يحتاجون إليه في معرفة أسرار الشريعة، وحل مشكلاتها، والرد على الطاعنين عليها من أرباب النحل الأخرى أو المرتدين.

أما أخلاقه فزهد غريب وعلو نفس عن الدنايا، وبعد عن الرياء، وتواضع مع كل إنسان، وسذاجة في المطعم والملبس والمسكن، لا ينفق على نفسه من مرتبه إلا القليل ويتصدق بالباقي في الخفاء، فلما مات قام الصراخ في دور كثيرة يسكنها فقراء وأرامل، كان يعولهم في كل شهر بما فضل من نفقته، وما علم بهم أحد حتى من أقرب الناس إليه وأخصهم به إلا بعد موته.

وكان كثير الاشتغال بأمور المسلمين، دائم الهموم لما أصابهم من التأخر في مشارق الأرض ومغاربها، منتظرًا فرجًا يأتيهم، ولطفًا من الله

يحفهم، فتقوم فيهم دولة شعارها الدين، تقوى على جمع شملهم. ولذلك لما قام المهدي بالسودان وانتصر انتصاراته المشهورة واستولى على البلاد السودانية، أحسن المترجم فيه الظن وقام بنصرته بقلبه ولسانه، حتى اضطر الإنكليز أن يسيروا وراء عينًا يخبرهم بحركاته وسكناته، وكاد يقع فيما لا تحمد عقباه، لولا أن سلمه الله.

ولمداومة اشتغاله بالإقراء وتربية النفوس لم يؤلف تأليفًا، غير أن نظارة المعارف لما كلفت كل مدرس بجمع ما يلقيه من الدروس، وكان يدرس التفسير بمدرسة دار العلوم، شرع في جمع ذلك في كتاب سماه «عنوان البيان» لم يطبع منه غير المقدمة سنة ١٣١٦؛ أي قبل وفاته بسنة.

obeikandl.com

الشيخ أحمد أبو خطوة الحنفي

أحمد بن أحمد بن محمد بن حسب الله بن علي بن محمد بن علي بن مذكور بن أبي خطوة المدفون في مطوبس، ابن مذكور بن شكر بن هاشم بن محمد، وهو أول من نزل بكفر ربيع منهم ودفن به، ابن سالم المدفون بالحدين بالبحيرة، ابن موسى بن حسن بن أحمد بن علي بن شكر بن إبراهيم بن أحمد بن شاكر بن حسن بن علي بن محمد بن علي بن السيد عبد الرحيم القنائي صاحب الضريح المشهور بقنا، ابن هريدي بن جعفر بن حماد بن سعادة بن عبد اللطيف القاسم ابن عبد الله بن عبد اللطيف بن هاشم بن عبد الجود بن محمد بن علي الرضا ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر ابن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب. هكذا أملى عليَّ نسبه من لفظه. ولد في ٢٠ ذي القعدة سنة ١٢٦٨ ببلدة كفر ربيع التابعة لتلا من أعمال المنوفية، ونشأ بها، فحفظ القرآن وبعض المتون، ثم سافر للقاهرة لطلب العلم بالأزهر في ١٦ شوال سنة ١٢٨١ واشتغل فيه بالطلب وقراءة الفقه على مذهب الإمام الأعظم. ومن شيوخه الشيخ محمد البسيوني البيباني، والشيخ أحمد الرفاعي الفيومي، والشيخ عبد الرحمن البحراوي، والشيخ عبد الله الدرستاوي، والشيخ حسن الطويل.

وكان أكثر اشتغاله في المعقول على الشيخ حسن الطويل، ولازم صحبته وتخلق بأخلاقه، وقرأ عليه بداره العلوم الحكمية والرياضية فتلقى

عنه شرح الهداية للميبدي، والطوالع، وأكثر المقاصد والمواقف، وإشارات ابن سينا بالشروح لنصير الدين الطوسي والإمام الرازي، والمحاكمات، وبعض كتاب النجاة لابن سينا وأشكال التأسيس بشروحها في الهندسة، وتحرير إقليدس، وفي الهيئة شرح الجغميني، وتذكرة نصير الدين الطوسي، وفي الحساب خلاصة بهاء الدين العاملي بشرح البورصاوي، والمعونة، وشرح ابن الهائم وغيرها، وفي المنطق القطب بحواشيه والمطالع والخبيصي وإيساغوجي، وغير ذلك من هذه العلوم.

وامتحن للعالمية والتدريس في ١٨ صفر سنة ١٢٩٣ وكان مجلس الامتحان مكونًا من الشيخ عبد الرحمن البحراوي والشيخ عبد القادر الرافعي الحنفيين؛ والشيخ أحمد شرف الدين المرصفي والشيخ زين المرصفي الشافعيين، والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ أحمد الجيزاوي المالكيين، برئاسة شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية الشيخ محمد المهدي العباسي، فلما امتحنوه أعجبوا به إعجابًا شديدًا لجودة تحصيله وشدة ذكائه فأجازوه، إلا أنه أخر التدريس لسبب اشتغاله بتتميم ما كان يقرؤه على شيخه الطويل.

ثم ابتدأ في القراءة بالأزهر سنة ١٢٩٦ فقرأ به الكتب المتداولة به وغيرها، وتخرج عليه جمع من الأفاضل؛ منهم السيد محمد شاكر والشيخ محمد حسنين العدوي، والشيخ محمد نجاتي، والشيخ سعيد الموجي، والشيخ محمد الغريني، والشيخ مصطفى سلطان وغيرهم.

ثم جعل مفتيًا لديوان الأوقاف، فكانت له اليد الطولى في إصلاحه، وعاون من به على تحسين أموره بجودة عقله وحسن رأيه، وحسبك أنه دخله وإيراده مائة وعشرون ألف دينار وخرج منه وإيراده يربو على المائتين. ثم نقل عضوًا في المحكمة الشرعية الكبرى بالقاهرة، ورأس المجلس العلمي للنظر والفصل في القضايا الكبرى، ثم انتدب للمحكمة العليا بعد ذلك فكانت له اليد الطولى في إصلاحها، ومنع شهادات الزور، وإصلاح حال المحامين، وكانت وفاته في شوال سنة ١٣٢٤[١].

(١) في هامش الأصل بخط المؤلف: «له ترجمة في المقتبس ج١ ص٥٥١ تراجع». يريد مجلة كانت تصدر بهذا الاسم.

obeikandl.com

الشيخ محمد أبو الفتح الحنفي
مفتي الإسكندرية

ولد في أوائل القرن الثالث عشر، وطلب العلم بالأزهر على الشيخ الصاوي وغيره من شيوخ الوقت، ثم انتقل لرشيد وتزوج بها بنت السيد عباسي من مشهوري رشيد. وكان ملازمًا للشيخ محمد البنا الكبير، فلما انتقل الشيخ إلى إسكندرية انتقل المترجم معه وبقي بها وانتخب أمينًا لفتواها، وكان مفتيها إذ ذاك الشيخ الدويري، ثم لما مات الدويري تولى البناء الإفتاء، فنقل المترجم لمنصب آخر، ولما مات البناء تولى هو إفتاء الثغر وبقي به إلى أن مات، وكان له شغف زائد بجمع الكتب واقتناء نفائسها، حتى اجتمعت له خزانة نفيسة بيعت بعد موته بثمن بخس. وكان رأي بناته وزوجته إبقاءها فلم يرض ولده، فذهبت وتفرقت بعدما عانى أبوه ما عانى في شرائها واستنساخها. وكان له ولع أيضًا بجمع الساعات فجمع منها نوادر وطرفًا بيعت بعد موته أيضًا، ولم يترك شيئًا من الحطام سوى دار بإسكندرية كان يسكنها في أواخر أيامه.

وكانت وفاته يوم الإثنين سادس شهر صفر سنة ١٢٩٤ ودفن يوم الثلاثاء، ورثاه الشيخ عبد الرحمن الإبياري قاضي إسكندرية بقصيدة مطلعها:

أهذي سيوف الدهر جرَّدها الدهر   أم السنة الشهباء جفَّ بها الزهر

ومن مؤلفاته: كتاب تبويب الأشباه والنظائر لابن نجيم، وشرع في كتاب آخر في الفقه لم يكمله.

وكانت له يد طولى في علم الميقات.

وهو جد صاحبنا العالم الفاضل الشيخ حسن منصور لأمه.

obeikandl.com

ترجمة إبراهيم بك مرزوق الشاعر

تلقى العلم بمدرسة الألسن، وتخرج على ناظرها رفاعة بك رافع الشهير، فقرأ بهذه المدرسة النحو والصرف وباقي علومها وبرع في الفرنسية. وكان لرفاعة عناية خاصة في تلقين تلاميذه العربية والعلوم الأدبية، وتدريبهم على نظم الشعر، فكان للمترجم حظ من هذه الصناعة، فنظم الشعر الجيد من المقطعات والقصائد اعتنى بجمعها بعده محمد سعيد بك ابن جعفر مظهر باشا سنة ١٢٨٧ في ديوان سماه «الدر البهي المنسوق بديوان إبراهيم بك مرزوق» وطبع بمصر.

ولما أتم المترجم علومه بالمدرسة استخدم في ديوان كان يقال له: (ديوان الهرجلات) وهو خاص ببيع الخيل والماشية التابعة للحكومة، ثم نقل منه ناظرًا للقلم الإفرنجي بالضبطية، وفصل منه مدة عبده باشا ضابط مصر، ثم عاد إليه بعد نحو ثلاث سنوات.

وكانت مدة توليه لهذا القلم كثير المعاكسة للإفرنج، إذا وقع أحدهم في سجن الضبطية أو كانت له دعوى بها قلما كان يسلم من أذاته، حتى ضج منه وكلاء الدول وأكثروا من الشكوى، فلم يكن يثبت عليه شيء عند التحقيق؛ والسبب في ذلك أنه كان يعتمد على إخوانه ومرءوسيه بالضبطية على إيصال الأذى إليهم سرًّا؛ نكاية بهم لطغيانهم على الرعية، وتدرعهم بدروع الحمايات.

وفي مدة وكالة إسماعيل باشا الخديو نقل المترجم معاونًا بمجلس الأحكام، ثم لما تولى هذا الخديو على مصر أرسله ناظرًا للقلم الإفرنجي بالخرطوم قاعدة بلاد السودان، فبقي إلى أن توفي بها سنة ١٢٨٣.

وكان مربوع القامة، أبيض اللون، قد وخطه الشيب، ومات بعدما تجاوز الستين، رحمه الله تعالى.

openkandl.com

ترجمة الشيخ مصطفى سلامة النجّاري

توفي والده وهو صغير، فتكفل به زوج أمه ورباه، فلما ترعرع مال للأدب، وقرض الشعر، فاتصل بالشيخ على الدرويش وتخرج عليه في النظم، واتصل بعد ذلك بأسرة المويلحي، ففتحوا له حانوتًا بالتربيعة لبيع الحرير فلم يصادفه النجاح.

ثم جعل منشئًا بالوقائع المصرية، ولم يزل يكافح زمنه حتى اتصل بوالي مصر سعيد باشا، وصار شاعره وتقرب إليه ونال جوائزه، فحسنت حاله، واجتمع بأكابر الدولة ومدحهم وداخلهم، فنال وجاهة وصار له شأن يذكر.

وجمع ما نظمه في مدح سعيد باشا في ديوان خاص.

وهو الذي جمع ديوان أستاذه الدرويش، وسماه: «الإشعار بحميد الأشعار».

ترجمة الشيخ محمد شهاب الدين المصري الشاعر

شريف النسب، اشتغل أولًا بالقبانة، ثم دخل المحكمة الشرعية تلميذًا للتعلم، ومال للأدب، ونظم الشعر، وداخل الأعيان حتى اتصل بعباس باشا والي مصر، وتقرب إليه ومدحه بالقصائد فأحبه وقرَّبه حتى صار كبير جلسائه وندمائه، وجعل له في كل قصر من قصوره حجرة يبيت فيها الليلتين والثلاث إذا طلبه للمجالسة والمنادمة، وأفاض عليه من نعمه، وقبل شفاعته حتى صار له بذلك جاه طويل عريض. وله معه نوادر غريبة؛ منها أن المترجم كان جالسًا في حجرته مرة في أحد القصور، ومعه بعض جلساء الوالي ينتظرون الإذن بالدخول إليه، فقال في عرض كلامه: يقولون: إن البغلة لا تحمل، أفلا يكون ذلك بسبب رطوبات أو ما أشبهها تعيق حملها؟ وعند أفندينا أطباء كثيرون، فلو أنه أطال الله بقاءه أمر بعضهم بالبحث في سبب هذه العلة وإزالتها، فلست أشك في أنها تحمل بعد ذلك. وأسرع بعض العيون، فبلغ عباسًا باشا كلامه، فجاءه بعد هنيهة أحد رجال القصر يقول له: يا أستاذ، يقول لك أفندينا إننا سنأمر الأطباء بما أشرت، ولكن إذا لم تحمل البغلة ماذا يكون؟ فبهت القوم لنقل المجلس بهذه السرعة، إلا المترجم، فإنه وقف وقال: بلغ أفندينا أن عبده شهابًا له كذبتان كل سنة أيام الباذنجان، هذه إحداهما.

وكان رحمه الله رقيق المزاج، أنيس المحضر، لا يمل جليسه من نوادره.

وتعلق بعلم الموسيقى فبرع فيه، وأخذه عنه كثيرون، وجمع فيه كتابًا «سماه سفينة الملك» وله ديوان شعر طبع بمصر، وكانت وفاته سنة ١٢٧٤.

obeikandl.com

ترجمة
الشيخ علي الليثي
سيد الندماء(١)

كان في ابتداء أمره مقيمًا بمسجد الإمام الليث، وكان ينزل إلى الأزهر لطلب العلم، ويعود للمبيت هناك، وكان كريمًا على فقره. ثم ورد على مصر الشيخ السنوسي الكبير قاصدًا الحج، فاتصل به، وأخذ عنه الطريق وحج معه، ولما عاد إلى مصر لم يفارقه؛ بل سافر معه إلى جغبوب، وأقام هناك مدة لم يفتأ فيها يطلب العلم ويستفيد، ثم فارقه وعاد لمصر، واتصل بأم عباس باشا الوالي فجعلته شيخًا على مجلس دلائل الخيرات عندها. ثم اتصل أيضًا بالأمير أحمد باشا رفعت ابن إبراهيم باشا الكبير. فاعتقد فيه، وأطلعه على خزانة كتب عنده، فاطلع على ما فيها واستفاد منها. وبسبب سفره إلى جهة المغرب اتهموه بمعرفة الزايرجة والأوفاق. فلما تولى سعيد باشا على مصر، أمر ضابط مصر عبده باشا بجمع من يأكلون أموال الناس بالباطل بهذه الخزعبلات، ونفيهم إلى السودان، فسيق المترجم معهم لما علق به من هذه التهمة، فبقي في السودان إلى أن عفي عنه وعاد لمصر.

ولما تولى إسماعيل باشا على مصر تلألأ نجم المترجم، وبدأ سعده، فاتصل به، وقربه والشيخ عليًا أبا النصر، وجعلهما نديمين له كنديمي

---

(١) في هامش الأصل بخط المؤلف: (ولد سنة ١٢٣٦ كما تحققته من بعض أفراد أسرته).

obeikandi.com

جذيمة، وصار لا يصبر عنهما في مجالس أنسه، فكانا إذا حضرا تلك المجالس أزاحا الكلفة وتبسطا معه في القول والتنذير، فكانت لهما في ذلك من النوادر ما يملأ الأسفار. وقد بلغ من شغفه بهما أن خصص لهما قاعة بديوانه يجلسان بها كأنهما من المستخدمين فيه. وحدث مرة أن أمر بكتابة ألواح على باب كل قاعة في الديوان، ليُعرف من بها، كقلم التشريفات، وقلم التحريرات ونحوهما، وسألهما العامل عما يكتبه على قاعتهما، فقال المترجم: اكتب عليها: إنما نطعمكم لوجه الله! وبسبب تقرب المترجم من الخديو قصده الناس في الشفاعات عند الكبراء، ونفع الله به خلقًا كثيرًا، جزاه الله عن مسعاه خير جزاء.

ثم لما عزل الخديو، وتولى ولده محمد توفيق باشا، شغف أيضًا بالمترجم وأحله محله من القبول. حتى كانت الفتنة العرابية وسفر الخديو إلى الإسكندرية، فانضم المترجم إلى العرابيين اضطرارًا أو اختيارًا، فلما عاد بعد الفتنة لم يؤاخذه، وصفح عنه، وقابله المترجم بقصيدة مطلعها:

كل حالٍ لضده يتحول فالزم الصبر إذ عليه المعول

تبرأ فيها من الفتنة، وأبان عذره في الانضمام إلى العرابيين، وزاد بعد ذلك من الخديو قربًا، وخصوصًا لما بنى قصره بحلوان فإنه كان إذا سافر إليه كل أسبوعين، ركب من هناك سفينة بخارية وذهب بها على ضيعة المترجم التي بشرق أطفيح، فيقيم عنده يومًا ويتغدى فيها، وهو شيء لا يفعله مع غيره. ولهذا السبب اعتنى المترجم بتلك الضيعة، فغرس فيها البساتين والكروم، وبنى قصرًا صغيرًا لنزول الخديو وحرمه وحاشيته، ولم

يزل هذا شأنه معه حتى مات الخديو، فلم يكن له حظ مع ولده عباس باشا، كما كان مع أبيه وجده، فجعل أكثر إقامته بتلك الضيعة، يشتغل باستغلالها ومطالعة كتبه، فإذا حضر لمصر نزل بداره التي بجهة باب اللوق، فيقيم بها أيامًا، ثم يعود، ولم يزل كذلك حتى اعتلت صحته وطال مرضه أشهرًا، حتى توفاه الله إلى رحمته في يوم السبت ١٠ شعبان سنة ١٣١٣ عن سن عالية، وقد شبع من الأيام وشبعت منه، ونال من العز والجاه إلى مماته ما لم ينله غيره.

وكان رحمه الله آية في حسن المجالسة، محببًا إلى القلوب، أديبًا شاعرًا، حاضر الجواب، فكه الحديث، إذا عرفه إنسان تعلق به، وكره مفارقته؛ مع أنه كان دميم الصورة، أطلس، ليس في وجهه إلا شارب خفيف، وشعرات على ذقنه. ولما حضر لمصر السلطان برغش ملك زنجبار، ندبه الخديو إسماعيل باشا لمرافقته ومجالسته، فلازمه مدة مقامه بالقاهرة، وأعجب السلطان به إعجابًا شديدًا، ثم لما عاد لبلاده، صار يتعهده بالرسائل والهدايا من العنبر ونحوه كل سنة، فيهدي هو بها أخصاءه وأصحابه. وكذلك ما كان ينتج ببساتينه من غرائب الفاكهة، وأصناف الأعناب النادرة، كان موقوفًا جميعه على الهدايا لا يبيع منه شيئًا. واقتنى خزانة كتب نفيسة اجتمعت له بالإهداء والشراء والاستنساخ، وغالى فيها، وبذل الأثمان العالية، فجلبت له من الآفاق، وعرفه تجار الكتب والوراقون فخصوه بكل نفيس منها، ثم لما مات اقتسمها ورثته، وبقيت إلى الآن محبوسة تحت أيديهم لا ينتفع بها.

وكان أدباء مصر وفضلاؤها يقصدونه في تلك الضيعة، فينزلهم على الرحب والسعة، ويقيمون عنده الأيام والأشهر، وهو مقبل عليهم بكرم خُلقه ولطائفه، ومحاضراته المستحسنة، وقد يقيم الإنسان عنده شهرًا أو أكثر، وهو يؤنسه كل يوم بحديث جديد لا يعيده، وبالجملة فقل أن يوجد مثله، أو يجتمع لإنسان ما اجتمع له، مع الورع والتقوى، خصوصًا في أواخر أيامه، رحمه الله رحمة واسعة.

obeikandl.com

ترجمة الشيخ أحمد وهبي[١]

كان طالب علم فقير، ثم تزوج بإحدى الموسرات، فحسنت حاله، وفتح له حانوت طرابيش بالغورية، جعلها مجتمع الأدباء والشعراء ولم ينجح في التجارة فتركها.

وأخذه الشيخ مصطفى سلامة النجاري معه في الوقائع المصرية، وجعل محررًا ثانيًا بها، ثم فصل. وتقلبت به الأحوال، فاتصل بأسرة المويلحي، ثم بالشيخ علي أبي النصر شاعر الخديو إسماعيل باشا؛ فسعى له في الاستخدام بنظارة المعارف، فلم يوفق.

وكان طلبه العلم على الشيخ منصور كسَّاب وغيره من شيوخ الوقت، وتعلق بالأدب، ونظم الشعر الجيد.

(١) في هامش الأصل بخط المؤلف: (وفاته سنة ١٢٧٣ كما في ص٣٣٠ من ديوان الشيخ شهاب).

ترجمة الشيخ أحمد مفتاح

العالم الشاعر الناثر، أحمد بن مفتاح بن هارون بن أبي النُّعاس ينتهي نسبه إلى عمار -بضم العين المهملة وتخفيف الميم- أحد العرب النازلين من الصفراء إلى أرض مصر حوالي القرن العاشر، وبين أبي النعاس وعمار جدان أو ثلاثة، ولما ورد عمار مصر قطن بإقليم منية ابن الخصيب في صعيد مصر، وقامت بين عرب تلك الجهة منازعة أدت إلى مقاتلة، كان لجد المترجم أبي النعاس اليد الطولى فيها، ويقال إنه حضر بعض الوقائع بدون سلاح، ولقوته أمسك جحشًا صغيرًا من رجليه وضرب به حتى مات الجحش.

وقطن هارون الجد الأدنى للمترجم في بلدة على الشاطئ الغربي للنيل بإقليم المنية تابعة لبني مزار، أنشأها حسن بن عبد العزيز أحد أجداد المترجم من جهة والدته، وهي بلدة صغيرة اشتهرت بين العامة باسم بني عجيز محرفًا عن أبي عزيز، يعنون به حسن بن عبد العزيز مؤسسها، على عادتهم في تكنية الرجل باسم أبيه، وما زال هارون المذكور بها حتى ولد له مفتاح أبو المترجم سنة ١٢٢٩، وكان في هذه البلدة رجل اسمه علي أبو محمد، من أقارب والدة المترجم، جعلته الحكومة شيخ المشايخ، وهو لقب كان يطلق إذ ذاك على من يحكم عدة بلاد، وكان جائرًا في معاملته، فاعتدى على أناس من أهل البلد بالضرب حتى أشرفوا على الهلاك، فاضطر بعض أهلها إلى الشكوى للمدير مستعينين بعلي أفندي

الشريعي والد حسن باشا. وبعد اللتيا والتي ساعدوهم على الانفصال، فانفصلوا واختطوا بلدة أخرى شمالي أبي عزيز سنة ١٢٦٤ سموها نزلة عمرو؛ وانتقل إليها هارون بولده أبي المترجم، وبني بها دارًا كبيرة، وبقي بها حتى مات بعد أن أسن، وكان سديد الرأي يرجع إليه في المشكلات.

ثم سكن هذه البلدة بعد ولده مفتاح، وتزوج بها وأعقب جميع أولاده، وحج سنة ١٣٠٤ فأرخ حجه ولده المترجم بقوله:

حَجَّ مفتاح أبي معتمرًا سنة ١٣٠٤

ومات سنة ١٣٠٨، وكان طويلًا خفيف اللحية، وقد وخطها الشيب، وكان اشتغاله بالزراعة دون غيرها، ويتحرى الحلال في كسبه، ويقول الحق ولو على نفسه، وتعلم القراءة والكتابة في الكبر ولم يجدهما، ولما وصل نعيه إلى ولده المترجم بالقاهرة رثاه على البديهة بقوله:

قضى والدي بالرغم مني وليتني ... سبقت لأمر ساورتني غوائله
لقد عاش دهرًا لم يشبه بريبة ... حياة سخي فاض بالقوم نائله
وقام بعبء الدين والفضل صادقًا ... وما المرء إلا دينه وفضائله
عليه سلام كلما غاب كوكب ... وسالت من الجفن القريح هوامله

وكانت ولادة المترجم ليلة السبت الرابع من شعبان سنة ١٢٧٤، ونشأ بالبلدة المذكورة في حياطة والده، وابتدأ القراءة على الشيخ جاد المولى، فقرأ عليه القرآن وبعض المتون، ومكث بعدها نحو ثلاث سنوات، ثم حضر إلى القاهرة سنة ١٢٨٩ لطلب العلم بالجامع الأزهر، وتلقى عن

شيوخ وقته؛ فقرأ النحو على الشيخ محمد الشعبوني المغربي، والشيخ عرفة سالم السفطي، والشيخ عبد الله الفيومي، والشيخ محمد البحيري، والشيخ سالم البولاقي، والشيخ محمد الإنبابي، والفقه الحنفي على الشيخ عبد الرحمن السويسي، والشيخ صالح قرقوش، وحضر بعض دروس الأستاذ الكبير الشيخ محمد العباسي المهدي شيخ الجامع الأزهر ومفتي مصر إذ ذاك، والبيان على الشيخ عرفة، والشيخ علي الجنائني، والشيخ محمد البحيري، وآداب البحث على الشيخ محمد البحيري المذكور، والمنطق على الشيخ محمد عبده، والشيخ أحمد أبي خطوة، والشيخ سالم البولاقي، والشيخ محمد البحيري، والعروض على الشيخ محمد موسى البجيرمي.

وفي أثناء مجاورته كان مسافرًا من بلدته إلى القاهرة في سفينة كبيرة أيام زيادة النيل، ونزل يغتسل على سكان السفينة مع جماعة فانحدر مع الماء في وسط النيل، وتبعه أحد المغتسلين لإنجاده، فما زال سابحًا حتى كلت سواعده وكاد يغرق، ثم نجا وخرج على الشاطئ الغربي للنيل وأرسل له من بالسفينة زورقًا وصل به إليها، وسافر مرة من القاهرة عائدًا إلى بلدته في سفينة، فتشاحن مع ربانها تشاحنًا أدى إلى إخراجه منها، فخرج إلى بلدة يقال لها الرق بإقليم بني سويف، ولا يملك شروى نقير، سوى كتاب مخطوط رهنه في أجرة القطار لبلدته. وله نوادر كثيرة أمثال ذلك من المشي على القدمين مسافات بعيدة، والمبيت على الطوى في كل غدوة وروحة بين القاهرة وبلدته.

وبعد أن قضى سبع سنوات بالأزهر مجدًّا في طلب العلم ومباحثة الشيوخ، عاد إلى بلدته ومكث بها نحو سنتين مشتغلًا بحفظ الشعر ونظمه، ولم يكن له بالأزهر كبير عناية به لانصرافه إلى تحصيل العلوم. ثم حضر إلى القاهرة، ودخل مدرسة دار العلوم سنة ١٢٩٨، فأعاد بها معظم العلوم العربية مع الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المشهور بالمقدمة على الشيخ حسين المرصفي، ثم خلفه في تدريس اللغة العربية شيخنا الشيخ حسن الطويل فتلقى عنه بعض المثل السائر، ورسالة ابن زيدون الهجوية، والزوراء للجلال الدواني في الحكمة، وانتفع به كثيرًا، وقال فيه وفي الأستاذ المرصفي:

دار العلوم شكت فراق أبي الهدى المرصفي الحبر أوحد ذا الزمن
فأجبتها حسن المعارف بعده لا تجزعي إن الحسين أخو الحسن

وتلقى التفسير والحديث بالمدرسة عن الشيخ أحمد شرف الدين المرصفي، والفقه الحنفي عن الشيخ حسونة النواوي، والعلوم الطبيعية والرياضية على أساتذة آخرين بالمدرسة، ثم خرج منها بعد أن نال الشهادة الدالة على براعته سنة ١٣٠٢، فقال بعد مفارقته المدرسة مضمنًا:

دار العلوم نشرت نظم أحبة كانوا بدورًا في سماء علاك
حتى بَلِي عهدي بهم وتغيروا يا دار غيرك البلى ومحاك

واشتغل بعد خروجه من المدرسة بالكتابة في صحف الأخبار كالأعلام والقاهرة، وبالتدريس لبعض أناس منهم السيد توفيق البكري، ولما اتصل به حسّن له خلع العمامة والجبة وإبدالها بالملابس الإفرنجية والطربوش،

ثم فارقه واستخدم كاتبًا بمحكمة بني سويف الأهلية نحو عشرة أشهر، ثم انفصل وورد القاهرة فكتب في المؤيد أيامًا قليلة، ثم امتحن للدخول بمدرسة دار العلوم مدرسًا للإنشاء؛ فحاز قصب السبق وعاد للعمامة والجبة، وأقام بها تسع سنين انتفع فيها الطلبة وتخرَّج عليه كثيرون ممن يحسنون الكتابة الآن، ثم نقلوه بعد ذلك مدرسًا للنحو بالمدارس الابتدائية في الأقاليم، فحطوا من درجته؛ إلا أنهم أبقوا له مرتبه. وكان أخيرًا بمدرسة بني سويف ومرض بها فأحيل على المعاش واختار السكنى بالقاهرة، وابتغى مكانًا يعتزل فيه الخلق ويشتغل بالمطالعة وإتمام بعض تآليفه، فاختار مصر الجديدة واكترى بها دارًا صغيرة أقام فيها بمفرده مع خادم مسن كان يقضي له حاجاته من السوق، ويقوم بتنظيف المكان، وكان الشيخ مريضًا بمرض يعرف عند الأطباء بتصلب الشرايين وهو لا يعلم بأمره ولا يهتم بنفسه، حتى اشتدَّ عليه أخيرًا وهو يظنه ضيفًا مرتحلًا، ثم تركه الخادم وعاد لبلده، فبقي وحيدًا بالدار حتى أدركه أجله المحتوم فجأة والأبواب مغلقة عليه، وبقي أيامًا لا يعلم به أحد، حتى ظهرت رائحته للجيران فأخبروا رجال الشرطة، فحضروا وكسروا الأقفال فألفوه مائلًا في سريره، وجزء من كتاب الأغاني ملقى بجانبه، وكان ذلك يوم الأحد ٢٨ المحرم سنة ١٣٢٩، وقرر الطبيب أنه مضى على وفاته ثلاثة عشر يومًا، فنقلوه ودفنوه، تغمده الله برحمته.

***

ولم يكن اشتغاله بالعلوم على السواء؛ بل كان جلُّ اعتنائه بمتن اللغة والشعر والنثر، فحفظ من اللغة مقدارًا وافيًا من الغريب وغيره، وكلف بتصحيح شرح القاموس عند طبعه برمته في المرة الثانية. وكان اشتغاله بالشعر في الأزهر قليلًا كما قدمنا، ولم يبرع فيه إلا عند دخوله دار العلوم طالبًا، وقد أرَّخ أول إجادته فيه بقوله:

أقول الشعر عن فكر سليم

١٢٩٨

ونظم بعد ذلك القصائد المتينة، والمقطعات السمينة. وكان ينهج فيها منهج العرب لكثرة نظره في دواوينها واقتناء الكثير منها استنساخًا أو نسخًا بيده، ولو تم له الخيال الشعري كما تمت له الديباجة وجزالة الألفاظ لكان أشعر أهل زمانه بلا منازع. ولما عاد الأمير محمود سامي باشا أشعر شعراء العصر من منفاه بسيلان، وكان بعيد العهد بشعراء مصر ومن حدث منهم لم يعجبه إلا شعر المترجم في رصانة البناء وسلامة التراكيب؛ وأما نثره فتوأم شعره في الأسلوب العربي، وكان مولعًا بالتضمين فيه من شطر عربي أو مثل سائر، لا تكاد تخلو قطعة منه من ذلك.

وقد ترك من التآليف «رفع اللثام عن أسماء الضرغام» جمع فيه ما ينيف على خمسمائة اسم للأسد، طبع بمصر، و«مفتاح الأفكار في النثر المختار» جمع فيه من مختار النثر من رسائل وخطب من الجاهلية إلى

هذا العصر، وهو كتاب جليل الفائدة، طبع بمصر أيضًا، و«مفتاح الأفكار في الشعر المختار» جمع به مختار الشعر من الجاهلية إلى عصرنا هذا، لم يطبع ولم نطلع عليه، وله ديوان حماسة من شعر العرب استدرك به على أبي تمام ما فاته، و«مفتاح الإنشاء» لم يكمله، وأخذ في أواخر أيامه في جمع شعره ونثره وترتيبه في ديوان، ولا أدري ما فعل الدهر به.

وكان رحمه الله غريب الأطوار، سريع الغضب سريع الرضا، مع صفاء الباطن، له شذوذ في أخلاقه يتحمله من عرفه وعاشره، أسمر اللون، أسود اللحية والشاربين كبيرهما، أميل إلى الطول، له هزة وتبختر في مشيته لمرض كان أصابه في ظهره ورجليه. ولما انتقل إلى مدارس الأقاليم صار يحضر إلى القاهرة في فترات فينزل عندنا، ويجتمع به إخوانه وأصدقاؤه في ليال كنا نحييها بالمطارحات الأدبية وإنشاد الأشعار.

ومات ولم يعقب غير بنتين زوجهما في حياته. ومن شعره قوله يرثي صديقه محمد بك بيرم ابن الشيخ بيرم التونسي ويعزي أخويه:

لقد مات في سن الثلاثين بيرم ... فإن كان قول فالرثاء المقدم
مضى سابقًا سبق الجواد إلى المدى ... ولا يدرك الغايات إلا المطهم
فتى كان مثل السيف يفري قرابه ... ويعجب منه الناظر المتوسم
فتى كان في حاليه للمجد كاسبًا ... كباد يرود العشب أو يتجرثم
فتى كان مثل الليث طلاع أنجد ... وكالفحل يحمي شوله وهو مقرم
فما بال هذا الفحل تقدع أنفه ... ولم ذل ذاك الضيغم المتأجم
وقد كان يرعى عهده وجواره ... فلا العهد منقوض ولا الجار مسلم

وقـد كـان مـأوى لليتـامى يظلهـم إذا الـسنة الـشهباء ظلـت تجهـم
وكـان ذوو الحاجـات منـه بنجـوة إذا سـاقهم سـيل مـن الـذل مفعـم
وما كان مجزاعًـا إذا الخطـب عظـه ولا وكـلا يغـشاه مـا لـيس يعلـم
ولكـن أخـو جـأش وحـزم كلاهمـا أبـر مـن الـسيف الجـراز وأحكـم
ومـا الطـود ممنـوع الـذرى هـضباته أنفـن فلـم يفـرع ذراهـن أعـصم
بنـت فوقـه الأسـد الـضواري علـى زبـى يتقيهـا الـصاعد المتجـشم
بأثبـت وكنـا منـه يـوم عظيمـة وأوفـر حلمًـا والظنـون تُـرَجَّم
تـسنم فـي عقبـاه متنـي وظيفـة هي القطر يتلوه من الغيث مسجم
وسـلم تـسليم البـشاشة جـاعلًا قـصارى المطايـا أن يقـيم المـسلم
فمـا كـان إلا أن أنـاخ ببابـه مـن البـين ركـب لا يـريم مخـيم
فـودع توديـع امـرئ غيـر راجـع سـجيس الليـالي أو يثـوب المـثلم
ليبـك عليـه ضـارع طوحـت بـه يـد الـدهر واستهوته دهيـاء صيلم
يذكرنيـه الخيـر والـشر دائبـا إذا زاغ ظـلام وصـاح مظلـم
وتعتـادني ذكـراه للـضيف كلمـا طغـت برمـة أو مرجـل يتهـزم
فقـدناه فقـد الـروض مـاء غمامـة علـى ظمـأ والقلـب حـران أهـيم
فهـل عهـده العهـد الـذي هـو راجـع ألا إنمـا عهـد المنايـا مُـضرم
وهـل حلمـه يـوم القيامـة حلمـه إذا خـف رَضـوى واسـتحال يلملـم
رمتـه شـعوب فاتقاهـا بـصدره وسـهم المنايـا فـي المقاتـل محكـم
فلـم يغـن عنـه فكـره وهـو صـارم ولا ذاد عنـه عرفـه وهـو عـيلم
عفـا علـى تلـك الحيـاة فإنهـا تفـاريق نهـب بـين قـوم يقـسم
فلو كان ردًا لموت يستطاع لانبرت كمـاة لهـا قـرع الظنابيـب مغـنم

إذا الشر أبدى ناجذيه حبتهم ... أسود شرى أظفارها لا تقلم
ولكنه الموت الزؤام إذا عدا ... تداعت لمأتاه زبيد وخثعم
متى يرم أشلاء العشيرة أغمضت ... حذام ولم يغن النطاسي حذيم
وليت المنايا أخطأته وصادفت ... عدى يبتغون الشر إما تيمموا
لهم سيرة في السوء شتى فعالها ... ومن ذا يعاني السوء إلا المذمم
وعما قليل يزجر الدهر طيرهم ... فيغدو سنيحًا وهو بالموت أشأم
ويطوَوْن طي الثوب أخلقه البلى ... على غرة والدهر عرس ومأتم
فيا راكب السوداء في البحر ترتمي ... على صفحات الماء والبحر خضرم
تمر كما مرت نعاج تعسفت ... رمال الفلا واليوم ضحيان يبسم
تسير فلا تلوى على ابن طريقة ... وترسو كما ذاق الغرار المهوم
إذا أنت ألقيت الرحال بتونس ... لدى معشر في بهرة الحي خيموا
لهم أول في السابقين وهضبة ... من العز شماء الذرى لا تسنم
هنالك فانزل عزهم بمحمد ... وقلَّ له دمع يراق معندم
وقل غاب من ترجون فضل إيابه ... فليس لشيء آخر الدهر يقدم
هنالك تلقى الخيل حطت سروجها ... وخر لمنعاه البناء المهندم
وتلفى عذارى الحي شقت جيوبها ... عليه ودقت بينها العطر منشم
وكنتم ثلاثًا فرق الدهر بينكم ... كأنكم اسم في النداء مرخم
نعم إن ذاك السر ما زال فيكما ... ولا عجب فالحرف في الحرف
خذا بيد الصبر الجميل فإنه ... هو السيف لا ينبو ولا يتثلم
ولا تحفلا للحزن يغشى فإنما ... رسوم الأسى قفر لمن يتردم
ودومًا على الأيام عنوان راحل ... طوته النوى طي الكتاب فيختم

بيـان

وُجدت هذه التراجم في دفتر بخط العلامة الكبير أحمد تيمور باشا، نوَّر الله ضريحه. والدفتر كبير بائن الطول، ناصل الورق من أثر السنين، والمكتوب منه نحو خُمْسه؛ فقد بدأ المؤلف الكتابة فيه منذ صباه، وسرد التراجم بغير ترتيب، وربما أرسلها بترتيب حصوله على المعلومات، واستيفائه أخبار المترجَم لهم.

ويلاحظ أن من التراجم ما هو قصير، ولا سيما بعض ما جاء في أخريات الأوراق. وهذا مع أن المترجَم له قد يكون ممن تنفسح فيه مذاهب القول. وقد راعى المؤلف ذلك، فترك مواضع لمن أوجز ترجمتهم، عسى أن يستلحق فيها ما فات، ويكمل ما نقص، ولكن المواضع ظلت على حالها فارغة.

ولم يستوعب المؤلف أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، وفاءً بحق العنوان. والقول بأن أصحاب هذه التراجم صفوة الأعيان، مما لا يرتاح إليه المؤرخ. فقد عرفت هذه الحقبة رجالات لم تكن شهرتهم في فروع العلم والأدب أخفى من شهرة الذين تُرجم لهم في هذه الأوراق.

وليس من تأويل للإيجاز الشديد في بعض هؤلاء المترجمين وقلة عددهم جميعًا، إلا ما يؤيده عارفو الفقيد من أنه كان ينتوي المضي في إتمام كتابه على الوجه الشامل، ثم خشي ألا يستطيع الصراحة في ترجمة

من كانت له بهم أو ما تزال لأسرهم به صلات مودة ملحوظة الجانب. وبلغه مع هذا عتاب ممن لم يرضوا عما جاء في تراجم ذوي قرباهم، فلم يملك لذلك كله إلا أن يطوي دفتره، فلا يرجع إليه، وأن يؤثر من الصمت ما هو الأشبه بكرمه وكرامته.

وقد عنينا ونحن نقدم هذه الأوراق للطبع، أن نتابع ما كتب المؤلف حرفًا بحرف، وألا نغير من عبارته ما عسى أن يكون قد سبق به القلم، مما لو رجع إليه المؤلف لغيره؛ وإنما حرصنا على ذلك ليخرج الكتاب مرآة لمخطوطته، فلا بدَّ للمنصف أن يضع نصب عينيه أن النسخة لم تكتب مرة أخرى في حياة صاحبها بعد مراجعته وتحريره، ليجلوها من بعد على الناس.

فأمَّا قيمة الكتاب، فهي كما يرى القارئ، فيما حوى من تراجم نفيسة لأعلام تمخض عنهم عصرهم، ولم تعرض ناشئتنا من حديث الكثير منهم إلا ما تتنفس به مجالس العلماء إذا شهدها الكهول، وسيعظم قدر هذه التراجم كلما تراخت بها الأيام.

وقد رأينا أن نختم الكتاب بترجمة موجزة لمؤلفه، كتبها الأستاذ حسن عبد الوهاب، وها هي ذي:

أحمد تيمورباشا

والده المرحوم إسماعيل باشا ابن محمد كاشف تيمور ابن إسماعيل، تقلب في الوظائف الكبيرة إلى أن كان رئيسًا للديوان الخديوي في عهد المغفور له إسماعيل باشا.

جده محمد كاشف تيمور كان ضابطًا في جيش محمد علي، وساعده على إبادة دولة المماليك، وترقى حتى كان واليًا على الحجاز وتوفي سنة ١٢٦٢هـ-١٨٤٧م.

مولده:

ولد في ٢٢ شعبان سنة ١٢٨٨هـ-١٨٧١م، وقد تلقى دروسه الأولية على مدرسين خصوصيين، ثم تلقى اللغة العربية على المرحوم العلامة الشيخ رضوان محمد العالم الشهير في علمي القراءات والرسم.

ودرس اللغة الفرنسية بمدرسة كليبر وعلى الأستاذ عبيد بك حتى نبغ فيها مع نبوغه في اللغتين التركية والفارسية.

وتلقى علم المنطق وعلومًا أخرى على الأستاذ الكبير الشيخ حسن الطويل، ثم تلقى علم اللغة على اللغوي الثقة الشنقيطي الكبير؛ فحضر عليه شرح المعلقات وغيره، فكان يذهب إليه الفقيد في منزله ويتلقى الدرس عليه وهو جالس، فكان حينما يشعر بألم ويبدل رجلًا بأخرى،

يقول له: لا تتألم يا أحمد، فقد كنا نقطع بالراحلة شهورًا وراء البحث والاستقصاء عن مسألة علمية.

وظل مثابرًا على الدرس ومجالسة العلماء والأخذ عنهم حتى أصبح الحجة في اللغة بعد الشنقيطي في عصره، والوحيد بعده.

ناديه بسراي درب سعادة:

يرى السائر الآن في شارع درب سعادة بجوار مسجد آسنبغا فضاء كبيرًا هو سراي تيمور، وقد كانت منتدى يؤمه شيوخ الأدب واللغة في القاهرة للبحث والمناقشة في المواد العلمية والأدبية، أمثال المرحومين الشيخ أحمد مفتاح والعلامة الشيخ طاهر الجزائرلي الحجة الثقة في المؤلفات العربية، والمرحوم الشيخ محمد عبده، ويحيى أفندي الأفغاني، وأصدقاؤه الأجلاء السيد رافع والسيد محمد الببلاوي، والشيخ حسن منصور، والشيخ محمد شاكر، وغيرهم كثيرون ممن يضيق المقام عن سرد أسمائهم.

وقصارى القول أن تلك الدار كانت كعبة العلماء والأدباء في مصر والأقطار العربية. وما كتبه في الصحف والمجلات من مباحث علمية وتنقيب عن حضارة العرب بأسلوب شيق وتمحيص للحقائق، أكبر دليل على ماله من أدب ونظر سديد فيما يعانيه من الأبحاث. وقد جمع خزانة كتب هي مفخرة مصر بل والشرق.

الخزانة التيمورية:

بدأ في تكوين خزانته سنة ١٣١٩هـ (١٩٠١م) وقد كان لديه نواة صغيرة لها من جمعه أيضًا، وظل طوال تلك السنين ينقب عن النوادر من المخطوطات القيمة ويشتريها بأغلى الأثمان حتى اجتمعت لديه نوادر يندر وجود مثلها في خزائن أخرى؛ بل انفردت بتحف كثيرة ويبلغ عدد كتبها ١٥٠٠٠ كتاب في نحو ٢٠٠٠٠ مجلد غالبها خط، جميعها مجلدة تجليدًا متقنًا، واستنسخ في عهده الأخير مجموعة صالحة من مكاتب أوربا بالفوتوغرافيا. وبها القليل من المؤلفات الفرنسية والإنجليزية مما له علاقة بحضارة العرب أو تاريخ مصر ونشرات المجمع العلمي الفرنسي.

وتمتاز هذه المكتبة بوفرة كتبها الخطية وخاصة في التاريخ واللغة، ولعل القارئ يعجب إذا أكدت له أن هذا العدد من الكتب قد اطلع عليه رحمه الله وعلق عليه ملاحظات له، ما بين وفاة مؤلف أو بيان ذيول وضعت على الكتاب، أو الإشارة إلى قوة المؤلف والاعتماد عليه في النقل. هذا ما يتعلق بالكتب المطبوعة.

أمَّا الكتب الخطية -وهي أكبر قسم فيها- فقد استنفدت منه مجهودًا لا يقدر عليه أشخاص. ومن يطلع على جميع الكتب الخطية يجدها مبتدأة بترجمة المؤلف ومنمرة، ثم فهارس بالتراجم الواردة فيه والموضوعات المهمة وآخر بأسماء البلدان والأماكن، وبيان الكتب الواردة فيه.

ومن حبه للعلم ومساعدته على نشره لم يبخل على من أراد طبع بعض هذه الكتب بالترخيص له بالطبع مع فهارسه، وهذا مشاهد في كتاب الطالع السعيد للأدفوي المطبوع سنة ١٩١٤؛ فإنه محلى بالفهارس التي أشرت إليها، وكما حصل أخيرًا من إعطائه مفتاح الخزانة؛ وهو مجموعة الفهارس التي وضعها لكتاب الخزانة للبغدادي إلى المطبعة السلفية لدرجها في الطبعة الجديدة وفعلًا طبعتها، وأمثال هذا كثير.

ومن اللطيف في هذه المكتبة تدقيقه رحمه الله في انتقاء كتبها فإذا اطلع مطلع على نسختين من كتاب، فلا بد وأن يكون هناك فرق بينهما، كأن تكون هذه كتبت في عصر المؤلف أو قرئت عليه، والأخرى طبعت بمصر أو أوربا أو الهند.

أمَّا المجاميع الخطية فقد وضع لها فهارس بمشتملاتها، وكل هذا المجهود بخطه.

وكثيرًا ما أعار المكاتب والمستشرقين أو استنسخ لهم لحسابه هدية منه، كما أنه أعار دار الكتب الملكية بعض نفائس خزانته لتصوير نسخ منها، مثل الأجزاء التي كانت تنقصها من كتاب عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي، وما لديه منه بخط المؤلف، وأخيرًا أعارها الجزأين الأول والسابع من كتاب الضوء اللامع للسخاوي وتاريخ ابن الفرات الذي استنسخه من فينا بالفوتوغرافيا، وسمح للدار بتصوير الفهارس التي وضعها لكل جزء في أوله، وعدد أجزائه سبعة عشر جزءًا.

أمَّا النفائس التي امتازت بها المكتبة فكثيرة ولا تسعها تلك العجالة، ومن مميزات تلك المكتبة النادرة وجود تواقيع مئات من أكابر العلماء في القرن السادس والسابع والثامن والتاسع والعاشر الهجري، وقد حصرها جميعها، وبعد وفاته رحمه الله أهديت مكتبته إلى دار الكتب المصرية، فأفردت لها مكانًا خاصًا بها.

مقالاته ومؤلفاته:

كان رحمه الله دقيقًا في البحث والتمحيص، وقد نشر مقالات كثيرة في المؤيد والضياء والمقتطف والمقطم والأهرام والهلال والهندسة والزهراء والهداية الإسلامية، وكلها في حضارة العرب وتحقيقات تاريخية.

فمن مقالاته الممتعة «الخلافة والسلطنة» نشرت في المقطم سنة ١٩٢٢، ومنها «المهندسون الإسلاميون» نشرت تباعًا في السنة الثانية ١٩٢٢ والثالثة ١٩٢٣ من مجلة الهندسة، وأيضًا خص تلك المجلة بفصول قيمة من كتابه «التصوير عند العرب» فنشر منها «التصوير على الجدران» في العدد الأول والعدد الثاني من السنة الثامنة يناير وفبراير سنة ١٩٢٨ «التماثيل المتحركة والمصوتة» في العددين ٣ و ٤ مارس وأبريل سنة ١٩٢٨ -وسبق أن نشر بمجلة الهلال الغراء مقالات عن التصوير عند العرب.

وقد انفردت مجلة الزهراء بنشر قسم كبير من مقالاته نذكر منها: بئر الثنيتين، حول تصحيح القاموس، شعر يزيد، دار ابن لقمان بالمنصورة،

انتشار المذاهب الأربعة، الكرات العربية الأرضية والفلكية، الكتابات الدقيقة، غرائب أخرى في الكتابة، لقب الطواشي، الطربوش وتاريخه، وصف ساعة المدرسة المستنصرية، المشتهى وتحقيق موضعه بالروضة.

ومن مقالاته التي كان يوافينا بها أخيرًا (الآثار النبوية) خص بها مجلة الهداية الإسلامية، ونشر منها تسع مقالات في الأعداد: محرم، وربيع الثاني، وجمادى الأولى، وجمادى الآخرة، ورجب، وشعبان، ورمضان، وشوال، وذي القعدة سنة ١٣٤٨، وظهر المقال العاشر في عدد الحجة بعد وفاته رحمه الله، تكلم فيه عن الآثار النبوية في الأقطار الإسلامية بإسهاب لم يسبق، وتحقيق وتمحيص نادر، وباقي هذا البحث معد للنشر أيضًا.

وكلها مباحث تدل على سعة الاطلاع والتعمق في البحث؛ بل هي خلاصة معلوماته وعصارة أفكاره وآثار تنقيبه في خلال السنين الماضية.

والحق أنها رسائل فريدة وليست بمقالات، وذلك لغزار مادتها ودقة مباحثها التي لم تطرق من قبل.

مؤلفاته:

هذه المؤلفات قسمان: ما نشر وما لم ينشر.

أمَّا ما نشر فهو:

(١) تصحيح لسان العرب، نشر القسم الأول منه سنة ١٣٣٤هـ.

(٢) القسم الثاني من تصحيح لسان العرب، نشر سنة ١٣٤٣هـ.

(٣) تصحيح القاموس، طبع سنة ١٣٤٣هـ.

(٤) نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة وانتشارها، طبعت سنة ١٣٤٤هـ.

(٥) رسالة في الرتب والألقاب.

(٦) أبو العلاء المعري.

(٧) أعيان القرن الثالث عشر وأوائل الرابع عشر.

(٨) اليزيدية.

(٩) تاريخ العلم العثماني.

(١٠) قبر الإمام السيوطي وتحقيق موضعه.

(١١) لعب العرب.

وأمَّا ما لم ينشر، فهو:

(١) التصوير عند العرب.

(٢) معجم اللغة العامية.

(٣) الأمثال العامية.

obeikandl.com

(٤) معجم الفوائد؛ وهو فرائد متناثرة لها شأن في مباحث الأدب والتاريخ.

وفاته:

في الساعة الرابعة من صبيحة يوم السبت ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٨- ٢٦ أبريل سنة ١٩٣٠ انتقل إلى رحمة الله تعالى؛ فانطوى ذلك العلم الخفاق، واندكَّ ذلك الركن الركين، وكان لنعيه رنة حزن وأسف جزعت لها القلوب وفاضت بالبكاء العيون، إنا لله وإنا إليه راجعون، ودفن وقت الغروب بمقبرة عائلته المجاورة لقبر سيدنا الإمام الشافعي، رحمه الله وطيب ثرى تربته.

obeikandl.com